العلاقة بين الإنسان والجان كما يصورها القرآن

"دراسة قرآنية"

جمال محمود أبو حسان*

مقدمة:

شغلت العلاقة بين الإنسان والجان الناسَ منذ القدم، وما زالت تشغلهم إلى يومنا الحاضر، وقد تنوعت أفكار الناس حول هذه العلاقة ما بين الإفراط والتفريط، حتى جاء العصر الذي نحن فيه، فغدت هذه العلاقة أكثر إشغالاً للناس، حتى طاشت في الناس فكرة غريبة، قصارى ما تؤديه بيان أن ثَمّ تسلطاً للجن على الإنسان يتحكم فيه ويصده عن سبيل الله تعالى.

وطاشت هذه الفكرة القديمة بين الناس حتى أصبحت لهم شغلاً شاغلاً، وصار في الأمة من يدّعي اليوم القدرة على إخراج هذا الجن القابع داخل جسد الإنسان، بقراءة القرآن عليه، أو ببعض العزائم الأخرى، تبعًا لتنوع هؤلاء المعالجين، واختلاف ثقافاتهم. وعلى الرغم من شيوع ذلك بين الناس وتأذّي كثير بسبب ذلك، ولم تتوافر بين أيدينا دراسة قرآنية علمية جادة، تحاول الإجابة عن أسئلة المحتاجين إزاء هذا الأمر الغريب الذي تضرر منه كثيرون.

وهذا البحث هو محاولة لدراسة هذا الأمر، وتبيان الحقيقة فيه، وإظهار ما فيه من الزيف، مقتصراً على القرآن الكريم؛ لأنه هو الحل الصحيح لدراسات تقوم على الموضوعية. لكن البحث اقتضى مراجعة بعض النصوص الحديثية والروايات غير

---

* أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القران بكلية أصول الدين في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.
dr_jamalhassan@hotmail.com

المرفوعة؛ لأن تلك الروايات أقحمت في تفسير القرآن الكريم، فاقتضى الأمر الوقوف عند حقيقتها واستجلاء ما فيها.

لقد أثبتت آيات كثيرة في القرآن الكريم وجود علاقة "ما" بين الإنسان والجان بمختلف تسمياته -الجان أو الشيطان أو شياطين- قوامها على العداوة، من مثل قوله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ.﴾ (الأنعام: ١٤٢) وينبغي لهذا فهم الآيات الكريمة في ضوء هذه الآية التي تحدد علاقة الإنسان بالشيطان، فهي علاقة العداء المستمر الذي لا يقبل التغيير. وقد بدأ التحذير الإلهي من عداوة الشيطان منذ خلق الله تعالى آدم، وأهبطه إلى الأرض، فكان لديه العنوان التالي: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ.﴾ (الأعراف: ٢٢) وقد فهم الشيطان هذا التقدير الإلهي بالعداء بينه وبين جنس الإنسان، فقال متوعداً مهدداً: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ.﴾ (الأعراف: ١٧) ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.﴾ (الحجر:٣٩) ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً.﴾ (النساء:١١٨) ولا تعدو الآيات الكريمة أن تحدد وتوضح هذه العلاقة بأساليب متعددة؛ إذ جاء الحديث عنها في إطار الوسوسة والإيحاء والقول والدعاء والتزيين، في معظم تصاريف هذه الآيات. ولم تُثِر هذه الآيات أيَّ مشكلة في الفهم؛ لوضوح دلالتها على المراد بشكل لا يقبل الامتراء والجدل. غير أن هناك آية واحدة أثارت من الجدل حول فهمها، مما يستدعي معه ضرورة بيان التفسير الذي لا ينبغي أن يحاد عنه؛ لاتفاق دلالته مع بقية مضامين الآيات التي تحدثت عن هذه العداوة المستحكمة. وهذه الآية الكريمة هي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ؛﴾ (البقرة:٢٧٥) إذ تعدى فهم هذه الآية من التفسير إلى أن يتكون منها شعار يدلل على مذهب معين، سلكه كثير من الناس في تبيان العلاقة ما بين الإنسان والشيطان في سياق العداوة المقررة. ومما لا شك فيه أن هناك بعض الآيات يمكن أن توضع في سياق واحد ضمن الدراسة المقررة، لبيان أن من الآيات الكريمة ما لم يكن دلالته على الإيحاء والوسوسة بشكل صريح.

أولاً: عداوة الشيطان للإنسان

ثمّة آيات عديدة في القرآن الكريم أشارت إلى علاقة ما بين الإنسان والشيطان، لكن نظمها لم يكن على وتيرة واحدة، فتارة تصوّر الآيات العداوة بصورة مباشرة وواضحة، وتارة أخرى لا يدل هذا النظم على الصورة الواضحة لذلك العداء. ونستطيع أن نتمثل الآيات المتعلقة بهذا الموضوع في النقاط التالية:

١. احتناك الشيطان للإنسان: فقد قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً.﴾ (الإسراء: ٦٢)

وأول ما يسترعي النظر لفهم هذه الآية، هو بيان معنى كلمة (لأحتنكن) الواردة في الآية تعبيراً عمّا قاله إبليس. وقد لخصها الراغب بقوله: "يجوز أن يكون معناها من قولهم: حَنَكتُ الدابة أي أصبت حَنَكَها باللجام والرسن، فيكون نحو قولك: لألجِمنَّ فلانا ولأرسننّه. ويجوز أن يكون من قولهم: احتنك الجرادُ الأرضَ: أي استولى بحَنَكِه عليها، فأكلها واستأصلها، فيكون معناه لأستولين عليهم استيلاءه على ذلك."[1] كما أنها تستعمل عندما تجعل في حنك الدابة الأسفل حبلاً ليسهل انقيادها لمن يرغب.[2]

وخلاصة معنى الآية أنها عبارة عن: "تمكّنه منهم بالوسوسة، تمكُّن قائد الدابة الواضع اللجام في حنكها؛ لتطيعه حيث يقودها."[3] وهي تعبير عن شدة اعتداد إبليس

---

[1] الأصفهاني، الراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٩٩٧م، ص٢٦٠-٢٦١.

[2] انظر:
- السرقسطي، أبو عثمان، سعيد بن محمد. **كتاب الأفعال**، تحقيق: حسين محمد شرف، مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٥م، ج١، ص٣٩١.
- الزمخشري، محمود بن عمر. **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩م، حنك، ص٩٧.
- ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ١٩٨٧م، مادة: حنك.

[3] السمين الحلبي. شهاب الدين أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمود السيد الدغيم، استانبول: دار السيد للنشر، ط١، ١٩٨٧م، ص١٤٠.

-عليه لعنة الله- بنفسه، وأن إضلال عباد الله بالنسبة له-كما زعم- سهل هيّن، كما يضع الإنسان اللقمة في حنكه، بحيث يديرها في فمه كيف شاء.

٢. أزّ الشياطين للكافرين: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا.﴾ (مريم: ٨٣)

ولفهم هذه الآية لا بدَّ من الوقوف على معنى كلمة "أزًّا" وبالرجوع إلى معاجم اللغة يتبين أن الكلمة يدور معناها بحسب سياقها على الأشياء التالية: الحركة، والإزعاج، والحثّ، والدفع، والإغراء، والإغواء، والتهييج، والهزّ. هذه هي المعاني الرئيسة التي تصل إليها تلك المفردة عبر سياقات مختلفة واستعمالات متعددة.[٤] وفي اللسان ما يبين -من ضمن المعاني التي تشتملها هذه اللفظة- على أنه يراد منها شدة الهزّ، وكذا شدة الزّحام في المكان.[٥]

وبناء على هذه المعاني اللغوية، فإن هذه الآية تتحدث عن الشياطين وفِعْلِهم في بني آدم، وهو قائم على أمرين: شدة الإزعاج والتحريك والإغواء والإغراء. ورغبة الشياطين أن يكون هناك زحام وتراكض واجتماع على المعصية، وكأن الاجتماع على المعاصي من مستلذات الشياطين. وهذه المعاني هي التي دار حولها المفسرون في تفاسيرهم.[٦]

---

[٤] انظر:
- ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة: أزز.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، بيروت: دار مكتبة الهلال، ج٧، ص٣٩٧.
- الزبيدي، محمد مرتضى. **تاج العروس**، بيروت: دار الهداية، مادة: أزز.
- الأزهري، أبو منصور. **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، مادة: أزز.

[٥] ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة: أزز.

[٦] انظر:
- ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي. **التسهيل لعلوم التنزيل**، لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م،ج٣، ص٩.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ج٢١، ص٢٥٣.

٣. تسخير الشياطين للإنسان: قال تعالى: ﴿وَمِنْ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِين.﴾ (الأنبياء: ٨٢) وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ.﴾ (ص: ٣٧)

وهاتان الآيتان تدلان بظاهرهما على أن للشيطان أو الشياطين عملاً من الأعمال البارزة والظاهرة. فهل تدل هاتان الآيتان على أن الشياطين يمكن أن تعمل مثل هذه الأعمال للناس؟

الظاهر أن هذا الأمر لم يقع إلا لسيدنا سليمان، وعلى جهة التسخير والإعجاز، يدل على هذا سياق الآيات التي تحدثت عن هذه القضية.

ويظهر هذا جلياً في آيات في سورة ص. وبناء على هذا، فإنه لا يوجد ما يشفع لما يشيع بين الناس من استخدام الجن في أعمال ما؛ و قد ذهب السعدي في تفسيره إلى أن هذا من خصائص نبي الله سليمان عليه السلام وحده.[٧]

٤. استحواذ الشيطان على الإنسان: قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ.﴾ (المجادلة: ٢٠)

والمقصود هنا بيان معنى كلمة استحوذ في اللغة، وكيف استعملها مفسرو القرآن الكريم. جاء في لسان العرب: "حاذ إبله يحوذها: ساقها سوقاً شديداً. وأحوذ السير:

- ابن عادل، عمر بن علي. **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ج١٣، ص١٤٢ وما بعدها.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م، ج١١، ص٥٥.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة: دار الشعب، ج١١، ص١٥٠.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ،ج١٦، ص٩٤.

[٧] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تفسير السعدي**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ص٥٢٨. وانظر:
- الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج٢٢، ص٢٠٢.

سار سيراً شديداً. واستحوذ: غلب. ومعنى الآية استولى عليهم وحواهم إليه."[٨] فالاستحواذ إذن هو الاستيلاء والغلبة.[٩] وأما المفسرون فلم تخرج تلك الكلمة في تفاسيرهم عمّا هو موجود عند اللغويين، وإنما اختلفت عباراتهم زيادة ونقصانا، تحديداً وتعميماً.[١٠] ولم يذكر هؤلاء المفسرون كيفية هذا الاستحواذ المشار إليه في الآية غير أن بعضها قد أشار إلى ذلك؛ ففي تفسير النسفي نقلاً عن شاه الكرماني: "استحواذ الشيطان على العبد: أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة، بتدبير الدنيا وجمعها."[١١]

٥. مشاركة الشيطان للإنسان في ماله وولده: قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً.﴾ (الإسراء: ٦٤)

قال الرازي في تفسيره: "أما مشاركته إياهم في الأموال فعبارة عن كل تصرف قبيح في المال سواء أكان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه، أم بسبب وضعه في

---

[٨] ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة: حوذ، بتصرف يسير.

[٩] النووي، يحيى بن شرف. **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، ص٧١. وانظر:

- المرسي، علي بن إسماعيل المرسي. **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٤٩٧.
- ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م، ج١، ص٤٥٧.
- الحربي، إبراهيم بن اسحاق. **غريب الحديث**، تحقيق: سليمان العايد، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٥هـ، ج٣، ص١١٩٠.
- السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز. **غريب القرآن**، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد، بيروت: دار قتيبة، ١٩٩٥م، ص١١٢.

[١٠] الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان**، بيروت: دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ، ج٢٨، ص٢٥. وانظر:

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. **إرشاد العقل السليم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٨، ص٢٢٣.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد الطيب، صيدا: المكتبة العصرية، د.ت.، ج١، ص٤١.

[١١] النسفي، عبد الله بن أحمد. **تفسير النسفي**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، ج٤، ص٢٣٦.

غير حقه، ويدخل فيه الربا، والغصب، والسرقة، والمعاملات الفاسدة... وأما المشاركة في الأولاد فهي في كل تصرف من المرء في ولده على وجه يؤدي إلى ارتكاب منكر أو قبيح فهو داخل في هذه المسألة."[١٢]

وإذا كان هذا هو مذهب الجمهور من المفسرين، فإن بعضهم -في ضمن ما أضافه- يذكر رأياً يُعزى لجعفر بن محمد، وتارة يُعزى لغيره. قال البغوي: "وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل، فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل. وروي في بعض الأخبار: إن فيكم مغربين، قيل وما المغربون؟ قال الذين يشارك فيهم الجن. وروي أن رجلاً قال لابن عباس: إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار، قال: ذلك من وطىء الجن."[١٣]

وقد أورد كثير من المفسرين في تفاسيرهم رواية قريبة عزوها إلى مجاهد، فقد قال الطبري: "حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال: ثنا سهل بن عامر قال: ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال: إذا جامع و لم يُسمِّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه."[١٤] وبعد أن فسر الثعالبي هذه الآية الكريمة وذكر ما ذكره

[١٢] الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج٢١، ص٥. وانظر:
- الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٥، ص١١٧.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد وزملاؤه، الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٤م، ج٩، ص٤١-٤٢.
- ابن سليمان، مقاتل. **تفسير مقاتل**، تحقيق: أحمد فريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٦٤.
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي. **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ،ج٥، ص٣١.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. **الجواهر الحسان**، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.، ج٢، ص٣٥٠.

[١٣] البغوي، أحمد بن الحسين. **معالم التنزيل**، تحقيق خالد العك، بيروت: دار المعرفة، د.ت.، ج٣، ص١٢٣.

[١٤] الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان**، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، مصر: دار هجر للنشر، ٢٠٠١م، ج٢٢، ص٢٤٨، وقد أخرج هذه الرواية السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. في: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت: دار الفكر، **١٩٩٣م**، ج٧، ص٧١١. وعزاها للحكيم الترمذي وللطبري، والثعلبي، أحمد بن محمد. **الكشف والبيان**، تحقيق: محمد بن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م، ج٩، ص١٩١. وقد أغرب ابن نجيم الحنفي، زين الدين بن إبراهيم. في: **غمز عيون البصائر**، مع شرح مولانا أحمد بن محمد الحنفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ج٣، ص٤١٣، فذكر أن الرواية من قبيل المرفوع.

الجمهور قال معقباً: "وما أدخله النقاش من وطئ الجن وأنه يحبل المرأة من الإنس فضعيف كله، أما ما ذكره من الحبل فلا شك في ضعفه وفساد قول ناقله، ولم أر في ذلك حديثا لا صحيحا ولا سقيما، ولو أمكن أن يكون الحبل من الجن كما زعم ناقله، لكان ذلك شبهة يُدرَأ بها الحد عن ظهر من بها حبل من النساء اللواتي لا أزواج لهن؛ لاحتمال أن يكون حبلها من الجن، كما زعم هذا القائل، وهو باطل. وأما ما ذكره من الوطء، فقد قيل، وظواهر الحديث تدل عليه، وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقدّر بينهما ولد في ذلك، لم يضره الشيطان أبداً. فظاهر الحديث يقتضي أن لهذا اللعين مشاركة "ما" في هذا الشأن."[١٥]

هذا وإني لأعجب من توارد المفسرين على نقل مثل هذا الكلام العجيب في كتب التفسير، والأعجب منه أن يكون هذا الكلام تفسيراً لكتاب الله تعالى. أما الأثر الوارد عن جعفر بن محمد فلم أجده معزواً إليه إلا في كتابين هما: تفسير البغوي وتفسير السمعاني.[١٦] ولم يذكر هذان المفسران لهذا الأثر إسناداً.

وأما الأثر المعزو إلى ابن عباس، فلم أجده إلا في تفسير البغوي الذي صدّره بقوله: "وروي" دليلاً على ضعفه عنده؛ فكما هو معروف من قواعد المحدثين أن التعبير بصيغة "روي" من ألفاظ التضعيف.[١٧] وأما ما يعزى للنبي صلى الله عليه وسلم "إن فيكم مغربين..." فقد أخرجه أبو داود في السُّنن من طريق أم حميد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رُئِيَ -أَوْ كَلِمَةً غَيْرَهَا-

---

[١٥] الثعالبي، عبد الرحمن بن مخلوف. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.، ج٢، ص٣٥٠.

[١٦] البغوي، **تفسير البغوي**، مصدر سابق، ج٣، ص١٢٢. وانظر:

- السمعاني، أبو المظفر. **تفسير السمعاني**، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧م، ج٣، ص٢٥٨.

[١٧] عتر، نور الدين. **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق: دار الفكر، ط٣، ١٩٨١م، ص٢٦٩، وص٣٧٤ وما بعدها.

فِيكُمْ الْمُغَرِّبُونَ قُلْتُ وَمَا الْمُغَرِّبُونَ قَالَ الَّذِينَ يَشتَرِكُ فيهم الجِنّ.[١٨] و لم أجده عند غير أبي داود، وقد نقل شارحه عن المنذري قوله عن "أم حميد": أم حميد هذه لم تُنسب و لم يعرف لها اسم.[١٩] وقد ذكرها الحافظ في التهذيب، و لم يذكر في ترجمتها سوى أنها روت عن عائشة، وأن ابن جريج روى عن أبيه عنها.[٢٠] وهذا الحديث من طريق ابن جريج عن أبيه، واسمه عبد العزيز بن جريج، قال عنه البخاري: لا يتابع في حديثه.[٢١] وأما الابن فاسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فهو مع كونه من الثقات إلا أنه من المدلسين.[٢٢] وفي روايته عند أبي داود عنعنة، فالحديث لا يحتجُّ به وهو من قبيل الضعيف لهذا السبب، ولجهالة أم حميد. ولربما حكم على هذا الحديث بالنكارة لمتنه المنكر.

وأما ما رواه الطبري من طريق محمد بن عمارة الأسدي معزواً إلى مجاهد، فإن محمداً بن عمارة هذا رجل مجهول، وقد فصَّل الشيخ أحمد شاكر القول فيه، وترجّح لديه أن هناك تصحيفاً في اسمه، وأن الصواب في اسمه هو محمد بن عبادة، وأن نُسَخ التفسير والتاريخ قد وقع فيها خلل.[٢٣]

ولكني من خلال البحث وجدت أن هذا الراوي مذكور في كتب عديدة من كتب التراث على الوجه الذي رجّح الشيخ شاكر خلافه؛ إذ إنّه مذكور في تفسير الطبري أكثر من أربعين مرة، ومذكور كذلك في تهذيب الآثار للطبري قرابة ثمانية عشر مرة، ومذكور في بعض كتب ابن أبي الدنيا قرابة عشر مرات، وذكره في التمهيد

---

[١٨] السجستاني، سليمان بن أشعث. **سنن أبي داوود**، الهند: مكتبة المطبعة العربية، ١٣٩٩هـ، ج٤، ص٤٨٩.

[١٩] أبادي، شمس الحق العظيم. **عون المعبود شرح سنن أبي داوود**، بحاشية السنن، الهند: مكتبة المطبعة العربية، سنة١٣٩٩هـ، ج٤، ص٤٨٩.

[٢٠] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. **تهذيب التهذيب**، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م، ج١٢، ص٤٩٢.

[٢١] ابن حجر. **تهذيب التهذيب**، مرجع سابق، ج٦، ص٢٩٧.

[٢٢] ابن حجر. **تهذيب التهذيب**، مرجع سابق، ج٦، ص٣٥٧ وما بعدها. وانظر:
- الذهبي، محمد بن أحمد. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص٦٥٩.

[٢٣] هامش تفسير الطبري، مرجع سابق، ج٣، ص١٠٥.

مرة على الأقل، وكذا في تاريخ دمشق، فهل يقال في هذه المواضع كلها -مما اطلعت عليه- بأنه وقع فيها التحريف؟!

ومن رواة هذا الأثر عند الطبري سهل بن عامر، إذ جاء في ترجمته عند ابن أبي حاتم قال: "سمعت أبي يقول: هو ضعيف الحديث روى أحاديث بواطل، أدركته بالكوفة وكان يفتعل الحديث،"[٢٤] ونقل ابن الجوزي عن البخاري: "أنه منكر الحديث،"[٢٥] وذكره ابن عدي في الكامل، ونقل عن البخاري: أنه منكر الحديث،[٢٦] وذكره ابن عراق في التنزيه في عداد الوضاعين.[٢٧]

ومن رواة هذا الأثر عند الطبري أيضاً يحيى بن يعلى الأسلمي، قال في تهذيب الكمال: عن يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال البخاري مضطرب الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث ليس بالقوي، وقال ابن عدي: كوفي من شيعتهم.[٢٨] وضعفه الهيثمي مراراً في المجمع.[٢٩] وكذا ضعّفه العقيلي والذهبي وابن حجر وابن ناصر الدين.[٣٠] وبقي من الرواة عثمان بن الأسود وهو ثقة مشهور.[٣١]

---

[٢٤] الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم. **الجرح والتعديل**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٥٢م، ج٤، ص٢٠٢.

[٢٥] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **الضعفاء والمتروكين**، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص٢٨ .

[٢٦] الجرجاني، عبد الله بن عدي. **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، بيروت: دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م، ج٣، ص٤٤٢.

[٢٧] ابن عراق الكناني، علي بن محمد بن علي. **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الغماري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ، ج١، ص٦٦.

[٢٨] المزي، يوسف بن الحجاج المزي. **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠م، ج٣٢، ص٥٢.

[٢٩] الهيثمي، علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٦٤و١٠١.

[٣٠] العقيلي، محمد بن عمر بن موسى. **ضعفاء العقيلي**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٤م، ج٤، ص٤٣٥. وانظر:

- الذهبي، محمد بن أحمد. **الكاشف**، تحقيق: محمد عوامة، جدة: دار القبلة، ط١، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٧٩.
- الدمشقي، محمد بن عبد الله. **توضيح المشتبه**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٣م، ج٧، ص٢٣٥.

وبناء على ماسبق، فهذا الأثر لا يصلح للاحتجاج به على هذه المسألة ولا على ما دونها. وبهذا يبطل تعلّق المتعلقين بهذا الأثر استشهاداً منهم على دعواهم المتعلقة بخصوص هذه المسألة.

٦. استمتاع الإنس والجن بعضهم ببعض. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.﴾ (الأنعام: ١٢٨)

ويبدو تعلق هذه الآية بالموضوع الذي نحن فيه، ببيان معنى قول الفرقاء الذي ذكره الله تعالى عنهم: "وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا؛" إذ يمكن أن نشتمّ رائحة المعنى المذكور من خلال التفسير، لكن ما أود قوله: إن الرازي رحمه الله تعالى أوجز معاني هذه الآية عمّن تقدمه من المفسرين وتلاحق به من تبعه منهم، فهو يقول: "في هذا قولان: الأول: إن قولهم: "اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ " المراد منه استمتع الجن بالإنس والإنس بالجن، وعلى هذا القول، ففي المراد بذلك الاستمتاع قولان:

القول الأول: إن معنى هذا الاستمتاع هو أن الرجل كان إذا سافر فأمسى بأرض قفر وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت آمناً في نفسه، فهذا استمتاع الإنس بالجن. وأما استمتاع الجن بالإنس، فهو أن الإنسي إذا عاذ بالجني كان ذلك تعظيماً منهم للجن، وذلك الجني يقول: قد سُدّتُ الجن والإنس؛ لأن الإنسي قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه. وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج، واحتجّوا على صحته بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً.﴾ (الجن: ٦)

[٣١] انظر ترجمته في: المزي، **تهذيب الكمال**، مرجع سابق، ج٥، ص١٠٢.

والوجه الثاني في تفسير هذا الاستمتاع: أن الإنس كانوا يطيعون الجن، وينقادون لحكمهم، فصار الجن كالرؤساء، والإنس كالأتباع والخادمين المطيعين المنقادين الذين لا يخالفون رئيسهم ومخدومهم في قليل ولا كثير، ولا شك أن هذا الرئيس قد انتفع بهذا الخادم. فهذا استمتاع الجن بالإنس. وأما استمتاع الإنس بالجن فهو أن الجن كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات واللذات والطيبات، ويسهلون تلك الأمور عليهم. وهذا القول اختيار الزجاج. قال: وهذا الوجه أولى من الوجه المتقدم، والدليل عليه قول الله تعالى: ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ﴾ ومن كان يقول من الإنس: أعوذ بسيد هذا الوادي قليل.

والقول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ هو كلام الإنس خاصة؛ لأن استمتاع الجن بالإنس وبالعكس أمر قليل نادر لا يكاد يظهر، أما استمتاع بعض الإنس ببعض فهو أمر ظاهر. فوجب حمل الكلام عليه. وأيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ كلام الإنس الذين هم أولياء الجن، فوجب أن يكون المراد من استمتاع بعضهم ببعض استمتاع، بعض أولئك القوم ببعض."[٣٢]

هذا كلامه وقد ذكر هذه الأقوال كثير من المفسرين.[٣٣]

---

[٣٢] الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج١٣، ص١٥٧.

[٣٣] انظر:

- الرازي، عبد الرحمن بن محمد. **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد الطيب، صيدا: المكتبة العصرية، د.ت.، ج٤، ص١٣٨٧.
- الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق: أحمد ومحمد شاكر، مصر: مكتبة الخانجي، ج١٢، ص١١٦.
- الزمخشري، محمد بن عمر الزمخشري. **الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.، ج٢، ص٦١.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص٣٤٥.
- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٧.
- البيضاوي، محمد بن عمر. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت: دار الفكر، د.ت.، ج٢، ص٤٥٢.

٧. طمث الجن لنساء البشر: وهذا ماثل في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ.﴾ (الرحمن: ٥٦)

ولا بد لفهم هذه الآية، وبيان علاقتها بما نحن فيه، أن نبين معنى "الطمث" الوارد فيها أولاً؛ فقد جاء في معاجم اللغة أن هذه الكلمة في لغة العرب لها عدة معان لخصها ابن فارس في معجم المقاييس قائلاً: "الطاء والميم والثاء، أصل صحيح يدل على مسِّ الشيء. قال الشيباني: الطمث في كلام العرب المسُّ، وذلك في كل شيء، يقال: ما طمث ذا المرتع قبلنا أحد. قال: وكل شيء يطمث. ومن ذلك الطامث وهي الحائض،.. ويقال طمث الرجل المرأة: مسّها بجماع. وهذا في هذا الموضع لا يكون بجماع وحده. قال الله تعالى: "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ." قال الخليل: طمثتُ البعير طمثاً، إذا عقلته. ويقال: ما طمث هذه الناقة حبل قط، أي ما مسَّها. وأما قول عدي:

طاهر الأثواب يحمي عرضه من خنى الذمة أو طمث العطن

فقال قوم: الطمث: الدنس."[٣٤] وعلى هذا فإن هذه المادة مستعملة في عدة معان هي: المس-الحيض-الدم-الجماع-النكاح- الفساد-العقل. وإنما الذي يحدد المعنى المقصود من هذه المعاني هو السياق الذي تقع فيه هذه الكلمة. وسياق الكلمة واقع في الحديث عن حورٍ عِين مطهرات، لم يسبق لهن الاتصال بأحد، ولا تعلق لهن إلا بما خلق الله لهن من أزواج. ورأى الراغب الأصفهاني أن معنى هذه الكلمة هو دم الحيض.

- السمرقندي، نصر بن محمد. **تفسير السمرقندي**، تحقيق: محمود مطرجي، بيروت: دار الفكر، د.ت.، ج١، ص٥٠٠.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد. **زاد المسير في علم التفسير**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص١٢٣.
- الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير**، بيروت: دار الفكر، د.ت.، ج٢، ص١٦١.

[٣٤] ابن فارس، أحمد. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٣، ص٤٢٢.

ومعنى الآية أي لم يفتضهن.[٣٥] وسننظر الآن فيما توجهت إليه أنظار المفسرين حول هذه الآية:

جاء في تفسير ابن جزي: "لم يطمثهن" معناه لم يفتضهن، وقيل الطمث: الجماع سواء أكان لبكر أم لغيرها، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان، مبالغة وقصداً للعموم، فكأنه قال: لم يطمثهن شيء. وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس، ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا القول يفيد بأن الجن يدخلون الجنة، ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر."[٣٦]

وقد لخص الألوسي هذه الأقوال قائلاً: "ونفى طمثهن عن الإنس ظاهر، وأما عن الجن فقال مجاهد والحسن: قد تجامع الجن نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله تعالى، فنفى هنا جميع المجامعين، وقيل: لا حاجة إلى ذلك، إذ يكفي في نفي الطمث عن الجن إمكانه منهم. ولا شك في إمكان جماع الجني إنسية بدون أن يكون مع زوجها غير الذاكر اسم الله تعالى، ويدل على ذلك ما رواه أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن، وقالوا: إن ههنا رجلاً من الجن يزعم أنه يريد الحلال؟ فقال: ما أرى بذلك بأسا في الدين، ولكن أكره إذا وُجدت امرأة حامل قيل: من زوجك؟ قالت: من الجن. فيكثر الفساد في الإسلام. ثم إن دعوى أن الجن تجامع نساء البشر جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء. وقوله تعالى: "وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ" غير نص في المراد كما لا يخفى... ثم ذكر ما مرَّ عن ضمرة بن

---

[٣٥] الأصفهاني، الراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، مادة: طمث، ص٥٢٤.

[٣٦] ابن جزي، محمد بن أحمد. **التسهيل لعلوم التنزيل**، لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م، ج٤، ص٨٦. وانظر:
- أبو السعود. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، مرجع سابق، ج٨، ص١٦٥.
- أبو المظفر السمعاني. **تفسير السمعاني**، مرجع سابق، ج٥ص، ٣٣٦
- الطبري. **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٢٣، ص٦٥.

حبيب وقال: ظاهره أنّ ما للجن لَسْنَ من الحور. ثم قال: ونقل الطبرسي عنه أهن من الحور وكذا الإنسيات."[٣٧]

وإني لأعجب أشد العجب من قراءتي لمثل هذا الكلام، ويشتد عجبي أكثر كلما رأيت مفسراً يفسر الآية بمعنى يبعد بالكلمة عن سياقها الذي جاءت فيه لمعانٍ متوهمة لا أصل لها. وهذا الكلام الذي مضى عن المفسرين ينبغي التعليق عليه من جهات عدة:

١. إنه وإن كانت هذه الكلمة المفسرة في الآية تحتمل هذه المعاني اللغوية، إلا أن السياق لا يقبل كثيراً منها تفسيراً للآية الكريمة.

٢. إنه لمن أشد العجب أن يختلف المفسرون هذا الاختلاف، والآية تتحدث عن قضية من قضايا الآخرة، وقضايا الآخرة لا يمكن حملها على ما في الدنيا أو العكس، فالموازين مختلفة.

٣. إذا سلمنا جدلاً بأن معنى الطمث هو النكاح، فهو نكاح في الآخرة، فكيف سرى الوهم بسؤال فحواه: وهل تنكح الجن نساء الإنس في الدنيا؟ فأي صلة لهذا السؤال بهذه الآية الكريمة؟!

٤. إن ما ذكره المفسرون من الاستدلال بهذه الآية على جواز وقوع المناكحة بين الجن والإنس في الدنيا، فمع أنه لا تعلق له مباشرة بهذه الآية، فإن الدليل الذي استدلوا به هو ما روي عن مجاهد في هذه المسألة، وقد بينت بطلانه بما لا مزيد عليه.

٥. إننا يجب أن نعلم أننا عندما نقول إن عندنا دليلاً على مسألة "ما" فإننا نعني أن الدليل مقصود به آية من كتاب الله عز وجل أو حديث نبوي صحيح. وبناء عليه فلا يصح جعل قول الإمام مالك في المسألة الموجهة إليه دليلاً شرعياً على ثبوتها؛ إذ إن هذا لو صح عن الإمام مالك، لما عدا أن يكون رأياً من آرائه، لم تشفع الأدلة بصحته، ولا يمكن قبوله.

---

[٣٧] الألوسي. **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، مرجع سابق، ج٢٧، ص١١٩.

٦. إن التفسير الصحيح لهذه الآية هو ما ذكرته عن ابن جزي، وفصّله الألوسي بعض التفصيل، وفي جواب الألوسي خير كثير. ولا داعي لمثل هذه التفريعات التي تنأى بالآية بعيداً عن سياقها الذي جاءت فيه.

٧. وأما ما يعزى للإمام مالك فلم أجده إلا عند السيوطي،[٣٨] وكذا عند الحموي؛[٣٩] إذ قالا: "روى أبو عثمان بن سعيد بن العباس الرازي في كتابه الإلهام والوسوسة قال: حدثنا مقاتل عن سعيد بن داود الزبيدي." وبعد تحرٍ عن أبي عثمان وجدتُ بأنه حصل تصحيف في اسم الراوي عن مالك، فهو أبو عثمان سعيد بن داود بن أبي زنبر المدني وليس الزبيدي؛ لأنه لا وجود له فيمن روى عن مالك. وأما الزنبري هذا فقال فيه في التقريب: يروي المناكير عن الإمام مالك.[٤٠] فهذا إسناد مظلم لا يحتج به.

٨. مسُّ الشيطان للإنسان: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ.﴾ (الأعراف: ٢٠١) وقد أدخلت هذه الآية لورود لفظ المسّ فيها، وهو ما نرجو الآن تحقيق معناه حتى يسهل علينا الحديث عن آية البقرة فيما بعد، فأقول: من خلال القراءة في كتب اللغة يمكن أن نصل إلى أن كلمة مسّ تستعمل في لغة العرب استعمالات عديدة هي: اللمس، والوطيء، والقرب، والتعرض، والجس، والإصابة بالجنون، والجماع، والإصابة، وأول درجات التعب، والمسك باليد، والمعاقبة، ومستعار للأخذ، ومستعار للضرب، ومستعار للجماع، والملاقاة، والتخبط، وكناية عن لين الجانب وحسن الخلق.[٤١] ولا يمكن أن تكون هذه المعاني مرادة دفعة

---

[٣٨] في كتابه **الأشباه والنظائر**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ص٢٥٧

[٣٩] الحموي، أحمد بن محمد. **غمز عيون البصائر**، مصدر سابق، ج٣، ص٤١٠ وما بعدها.

[٤٠] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٥. وانظر:

- الشيباني، علي بن أبي الكرم. **اللباب في تهذيب الأنساب**، بيروت: دار صادر، ١٩٨٠م، ج٢، ص٧٦.

[٤١] السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمد. **كتاب الأفعال**، تحقيق: حسين محمد شرف ومهدي علام، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٠م، ج٤، ص١٤٨. وانظر:

- الزمخشري، محمود بن عمر. **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩م، مادة: مس، ص٤٢٩.

واحدة، وإنما يحدد السياق ما هو مطلوب. وقد تبين من خلال ما ذكره علماء اللغة أن لفظة المسّ ليست حقيقة في الجنون والنكاح، وإنما هي من قبيل الكنايات.

وفي تفسير هذه اللفظة في هذا الموضع من القرآن الكريم جاء في كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس: "مَسَّهُمْ طَائِفٌ" يعني عارض وسواس منه تذكروا وعد الله تعالى ووعيده وعقابه، فإذا هم مبصرون الحق آخذون بما أمرهم الله عز وجل به من التحامل عند الغضب، والغلظة على من قد نهوا عن الغلظة عليه.[٤٢] وبعد أن نقل الطبري عن مجاهد أن معنى طائف من الشيطان الغضب، ونقل عن غيره أن المراد الوسوسة، وعن آخر أن المراد لّمة من الشيطان، قال: "وهذه التأويلات متقاربة المعنى، فإن الغضب من استزلال الشيطان، واللمَّة من الخطيئة منه أيضاً، وكل ذلك من طائف الشيطان. وإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لخصوص معنى دون معنى، بل الصواب أن يعمَّ كما عمَّه جلَّ ثناؤه . فيقال: إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان، أياً ما كان ذلك العارض، تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره." انتهى بتصرف يسير.[٤٣] وعلى هذه الأقوال التي جاءت عند الطبري توارد المفسرون في تفاسيرهم.[٤٤]

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. **غراس الأساس**، تحقيق: توفيق شاهين، القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٠م، مادة: مس، ص٤٢٨.
- المناوي، عبد الرؤوف. **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م، ص٦٥٥.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد. **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٩٠م، ص١٦٨ وما بعدها.
- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٢م، ص٣٠٥.

[٤٢] النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الكويت: مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٤٥٠.

[٤٣] الطبري، **جامع البيان**، طبعة شاكر، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٣٧.

[٤٤] انظر:
- الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج١٥، ص٨١.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور**، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م، ج٣، ص٦٣٢. وما بعدها.
- الزمخشري، **الكشاف**، مرجع سابق، ج٢، ص١٨٠.

٩. مسّ الشيطان لأيوب عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ.﴾ (ص: ٤١) وقد ورد في موضع آخر من متشابه اللفظ حول هذه القصة قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.﴾ (الأنبياء: ٨٣) ففي الآية الأولى نسب الضر للشيطان، وفي الثانية لم ينسبه. ولا شك أن لهذا الأمر دلالته كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

وقبل تفحص كتب التفسير ننقل كلاماً مهماً للدكتور فضل عباس؛ إذ قال: "إنّ ما قصه القرآن علينا من خبر أيوب عليه الصلاة والسلام، لم يكن فيه من غرابة الشأن ما يخرجه عما ألفه الناس، ومع ذلك وجدنا القصاصين عشّاق الإسرائيليات، ينسجون حول هذا الخبر ما يجوز وما لا يجوز، وما يصح وما لا يصح، بل ما يتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكرامتهم. كل ما أفادته قصة أيوب عليه الصلاة والسلام أنه ابتُلِي بمرض وببعض المصائب، ولكنه صبر، وتضرع إلى ربه، فمنَّ الله تعالى عليه بالشفاء، وهداه إلى ماء يمكن أن يغتسل به ويشرب؛ ليكون بُرْءاً لمرضه، ثم إن أهله قد تفرقوا عنه، فأكرمه الله تعالى حيث ردهم عليه، وكان مثلهم معهم من بنيهم. كما قص علينا القرآن الكريم أن أيوب عليه السلام حلف أن يضرب بعض أهله لأمر حدث منهم، لم يقصه علينا القرآن؛ لأنه لا عبرة فيه، حلف أن يضربهم عدداً معيناً، فأوحى الله إليه أن يأخذ بيده ضغثا فيضرب به... ولكنهم -أي القصاصين- أثاروا حول ذلك كثيراً وكثيراً، فذكروا أخباراً في سبب ما أصاب أيوب، وهي أخبار كاذبة بالطبع. ثم ذكروا أن مرضه عليه الصلاة والسلام كان من تلك الأمراض المنفرة، فذكروا أن جسمه كان مرتعاً للدود إلى غير ذلك من الأخبار الكاذبة الشاذة التي لا تجوز على الأنبياء. ثم قالوا: إن أهله ماتوا جميعاً، ولكن الله أحياهم له بعد ذلك، وأعطاه مثلهم معهم. ثم ذكروا أن امرأته قد أخطأت خطأ حيث تصور لها الشيطان

- وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، مرجع سابق، ج٥، ص٥٤٠.
- البغوي، **معالم التنزيل**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٤.
- السعدي، **تفسير السعدي**، مرجع سابق، ج١، ص٣١٣.
- السمعاني، **تفسير السمعاني**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٤.

ودلّها على شفاء أيوب بعمل شيء محرم، فحلف أيوب أن يجلدها مئة جلدة...كل ذلك مما لا ينبغي أن يعول عليه ولا أن يركن إليه."[٤٥]

هذه هي خلفية تفسير هذه الآيات، ومن المؤسف أن يقع فريسةَ هذه الأخبار الشائنة مفسرون كبار كالطبري وابن كثير والبغوي وغيرهم. وقد فصّل أبو بكر ابن العربي الرد على المفسرين في كلام يحسن الإشارة إلى موضعه والاكتفاء بالإشارة عن النقل لطوله، وللمستزيد الرجوع إليه."[٤٦]

ويبدو أن التفسير الجائر لهذه الآية مبني على أمرين:

الأول: تلك الروايات الإسرائيلية الباطلة.

والثاني: مبني على تفسير الكلمات: "الضُّر" و"نُصْب وعذاب" الواردة في معرض الحديث عن المرض. وسنبين في نهاية الحديث عن الآية ما في هذا التفسير. لكن لنتابع الآن بعض ما في كتب التفسير المهمة في غايتنا المنشودة. فقد جاء أيضاً في تفسير الجلالين ما نصه: "مسني الشيطان بنصب وعذاب" أي ضر وألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالى.[٤٧]

وذهب النحاس في تفسير هذه الآية المسند فيها الفعل للشيطان قائلاً: "إن هذا مما لحقه من وسوسة الشيطان لا غير."[٤٨] وجاء في تفسير الألوسي: "إن جمعا من المفسرين

---

[٤٥] عباس، فضل حسن. **قصص القرآن صدق حدث وسمو هدف**، عمان: دار الفرقان، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٦٦ وما بعدها.

[٤٦] نقله القرطبي في التفسير عن ابن العربي المالكي، ولم أعثر على مكانه من كتبه. انظر:
- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج١٥، ص٢٠٩ وما بعدها.

[٤٧] السيوطي، جلال الدين. والمحلي، جلال الدين. **تفسير الجلالين**، القاهرة: دار الحديث، ط١، د.ت.، ص٦٠٢.

[٤٨] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. **إعراب القرآن**، تحقيق: غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٨م، ج٣، ص٤٦٥. وانظر:
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي. **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ج٤، ص٣٧١.
- بن عبد السلام، عز الدين. **تفسير العز بن عبد السلام**، تحقيق: عبد الله الوهيبي، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، ص٨٤.

قالوا: إن النصب والعذاب ليسا ما كان له من المرض والألم، أو المرض وذهاب الأهل والمال. بل أمران عرضا له وهو مريض فاقد الأهل والمال، فقيل: هما ما كانا له من وسوسة الشيطان إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة والإغراء على الجزع، كان الشيطان يوسوس له بذلك، وهو يجاهد في دفع ذلك حتى تعب وتألم على ما هو من البلاء، فنادى ربه يسترفه عنه ويستعينه عليه. وقيل كان من وسوسة الشيطان إلى غيره سواء أكان ذلك لامرأته أم لبعض أتباعه... . ثم قال: والإسناد[٤٩] على جميع ما ذكر باعتبار الوسوسة، وقيل: غير ذلك، والله أعلم."[٥٠]

وبعد فالراجح الذي لا ينبغي تجاوزه في تفسير هاتين الآيتين أن ما أصاب أيوب عليه السلام إنما هو بسبب وساوس الشيطان لا غير. هذا هو الأنسب والأليق، لعصمة هذا النبي الصابر عليه السلام.

ثانياً: تخبط آكل الربا من مسِّ الشيطان

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ.﴾ (البقرة: ٢٧٥)

وهذه الآية هي التي يدور عليها قطب الرحى في موضوع الجان وعلاقته ببني الإنسان؛ إذ استغلت هذه الآية على نحو عجيب في إثبات ظاهرة ما يُسمى بـ(تلبُّس الجان للإنسان). وسيكون التفسير لهذه الآية قائماً على بيان ما ورد في تفسير كلمة "يقومون،" و معنى تخبط الشيطان، وبيان التشبيه الحاصل في الآية بإبراز طرفيه.

ولا بدَّ من بعض الإشارات قبل البدء بالتفسير:

الإشارة الأولى: لم يصح في تفسير هذه الآية حديث واحد مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[٤٩] أي إسناد المسّ المقصود إلى الشيطان.

[٥٠] الألوسي، **روح المعاني**، مرجع سابق، ج٢٣، ص٢٠٦. بتصرف.

الإشارة الثانية: يُفَسِّر كثير من الناس وطلبة العلم هذه الآية على النحو التالي؛ إذ يقولون: إن هذه الآية من أصرح الأدلة القرآنية على أن الشيطان يدخل إلى جسم الإنسان، ويتحكم فيه من داخله -ويسمونه تلبّس الجان- فيصيبه بالأمراض والأسقام والأوجاع وخصوصاً مرض الصرع. وصاروا يطلقون عليه تبعاً لبعض المتقدمين من الأعلام[٥١] اسم (صرع الجن). ولا يخفى أن هذا التفسير منتشر في أوساط العامة والمثقفين انتشاراً كبيراً، وهذا ليس إلا لأن هذه المسألة -حتى اليوم- لم تُدرس دراسة علمية موضوعية. وإنما تُسقَطُ هذه الآية على تصَوّر مركوز في الأذهان؛ لتكون دليلاً على صحة ذلك التصور، لا أن ذلك التصور مستنبط منها، وسنرى ذلك واضحاً في هذا البحث.

الإشارة الثالثة: إن تعبيرات: صَرَع الجن، وتَلَبُّس الشياطين، ودخول الجن إلى أبدان المصروعين. وما يقاربها من الألفاظ، كل هذا لم يثبت به خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه.

الإشارة الرابعة: إن هذا التفسير على هذا النحو لم يندرج في كتب التفسير إلا على أثر ما ذكره القرطبي في تفسيره، ولا أعلم أحدا من المفسرين في تفاسيرهم قبل القرطبي قد ذكر ذلك. وعلى أثره توارد المفسرون على نقل هذا الكلام دون تمحيص. حتى صار اليوم دِيناً يدافع الناس عنه ويشنؤون من ينكره. وهكذا يصنع النقل غير المحرر في النفوس.

ولا بد لنا أولاً قبل أن نلج إلى التفسير أن نحرر السياق الذي وقعت فيه الآية الكريمة؛ فقد ذكر الطبري وغيره عن ابن عباس وابن مسعود وبعض التابعين أن المراد بقيام آكلي الربا إنما هو يوم القيامة أو حين القيام من القبور. وهذا يعني أن الآية تتحدث عن يوم القيامة. وقد تفحصت هذه الأقوال من القائلين ما اقتضى إبداء الملاحظات التالية:

---

[٥١] انظر على سبيل المثال لا الحصر: الأشقر، عمر. **عالم الجن والشياطين،** الكويت: مكتبة الفلاح، في الفصل المتعلق بالصرع من كتابه المذكور.

١. إنّ أمر السياق -وإن كان اجتهادياً- لكنه يقطع أمرَه أيُّ نص يثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم. وفي هذه الآية الكريمة لم يثبت في أمرها حديث مرفوع على الإطلاق، لا يبين سياقها ولا يقطع الناسَ في تفسيرها، فبقي الأمر على الاجتهاد.

٢. إنّ ما شجع المفسرين على اعتماد هذا القول، ما عزوه إلى ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها، وما عزوه لابن مسعود رضي الله عنه من أنه كان يقرأ: "لا يقومون من قبورهم" فبناء على هذا العزو كان هذا التفسير.[٥٢]

٣. لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الكثيرة عن الربا وآكليه ما يشير إلى ظهور هذا الصنف من الناس على هذا النحو.

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فقد أخرج الطبري روايتين كلتاهما من طريق ربيعة بن كلثوم البصري عن أبيه. وربيعه وثقه في الجرح والتعديل عن يحيى بن معين وقال الرازي: صالح. ووثقه العجلي وقال النسائي: ليس بالقوي وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم.[٥٣] وأما والده فكلثوم بن جبر البصري، وثقه في الجرح والتعديل، ووثّقه العجلي، ونقل في لسان الميزان: توثيقه عن ابن حبان. وقال في ميزان الاعتدال: كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير، قال النسائي: ليس بالقوي، ووثقه أحمد. وقال في التقريب: صدوق يخطئ.[٥٤]

---

[٥٢] رضا، محمد رشيد. **تفسير المنار**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ج٣، ص٨٠.

[٥٣] الرازي، **الجرح والتعديل**، مرجع سابق، ج٣، ص٤٧٧. وانظر:

- الواعظ، عمر بن أحمد. **تاريخ أسماء الثقات**، تحقيق: صبحي السامرائي، الكويت: الدار السلفية، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص٨٦.
- العجلي، أبو الحسين أحمد بن عبد الله. **معرفة الثقات**، تحقيق: عبد العليم البستوي، المدينة: مكتبة الدار، ط١، ١٩٨٥، ج١، ص٣٥٨.

[٥٤] انظر:

- الرازي، **الجرح والتعديل**، مرجع سابق، ج٧، ص١٦٤.
- العجلي، **معرفة الثقات**، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٨.

وبناء على ترجمة الرجلين يكون هذا الإسناد من قبيل إسناد الحديث الضعيف المعتبر به،[٥٥] فإذا وُجدت لهذا الحديث متابعات تَقَوَّى بها، وإلا فهو من قبيل الحديث الضعيف.[٥٦] وهذا الحديث ليس له أي متابعة.

وأخرج ابن أبي حاتم رواية مشابهة عن ابن عباس من طريق جعفر بن ابي المغيرة عن ابن عباس: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق.[٥٧] وهذا الإسناد من طريق جعفر بن أبي المغيرة، ذكره في الميزان وقال: صاحب سعيد، كان صدوقاً، وقال ابن مندة: ليس هو بالقوي في سعيد.[٥٨] وقال في التقريب: صدوق يهم.[٥٩] وذكره الإمام أحمد في العلل، وقال: ثقة.[٦٠] وهذا حديث ضعيف.[٦١]

وأما ما نُسِب إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: "لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس."[٦٢] فهذا إسناد ضعيف؛ لأن فيه عبد الله بن أبي مريم الغساني وقد ضعفه في الكامل وقال: ليس بشيء.[٦٣] وضعّفه الذهبي في المغني.[٦٤] وقال في اللسان: لا يكاد يعرف وخبره منكر.[٦٥] وضعفه في التقريب.[٦٦] وبناء على هذا فما عُزِي إلى ابن مسعود رضي الله عنه من قراءة الآية على هذا النحو لا يعول عليه، ولا ينبغي أن يلتفت إليه.

---

[٥٥] كذا أخبرني الدكتور بشار عواد معروف فيمن قال فيه الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ أو يهم.

[٥٦] من تتمة كلام الدكتور بشار عواد.

[٥٧] ابن أبي حاتم، **تفسير ابن أبي حاتم**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٤٤.

[٥٨] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، مرجع سابق، ج٢، ص١٤٨.

[٥٩] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، ج١، ص١٤١.

[٦٠] ابن حنبل، أحمد. **العلل ومعرفة الرجال**، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٠٢.

[٦١] إذا أجرينا عليه ما قاله الدكتور بشار عواد مما نقلناه عنه سابقا.

[٦٢] ابن أبي حاتم، **تفسير ابن أبي حاتم**، مرجع سابق، رقم الأثر: ٢٨٨٧، ج٢، ص٥٤٤.

[٦٣] ابن عدي، عبد الله. **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: يحيى غزاوي، بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٦.

[٦٤] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. **المغني في الضعفاء**، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، ج٢، ص٧٧٤.

[٦٥] ابن حجر، **لسان الميزان**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥٧.

[٦٦] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، ج١، ص٦٢٣.

وأما ما يروى من مرفوعات الأحاديث، فلم أجد إلا ما رواه الطبراني من طريق الحسين بن عبد الأول قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياي[٦٧] والذنوب التي لا تغفر، الغلول فمن غل شيئا أُتِيَ به يوم القيامة، وآكل الربا، فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط، ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ.﴾ (البقرة: ٢٧٥)"[٦٨] وقد رواه الخطيب البغدادي بنفس طريق الطبراني.[٦٩] وهذا الحديث ذكره الهيثمي في المجمع، وقال: هو حديث ضعيف؛ لأنه من رواية الحسين بن عبد الأول، وهو ضعيف.[٧٠]

والحسين بن عبد الأول ذكره في الجرح والتعديل، وقال: سألت أبا زرعة عنه، فقال: روى أحاديث لا أدري ما هي، ولست أحدث عنه، و لم يقرأ علينا حديثه.[٧١] وفي اللسان عن يحيى بن معين قال: كذّابو زماننا أربعة، وذكر منهم الحسين بن عبد الأول.[٧٢] وبناءِ على ما سبق فإن الحديث من قبيل الموضوعات.

والآن إلى سياق هذه الآيات: فقد ذهب جمهور المفسرين سلفاً وخلفاً إلى أن الصورة المعنية هي في الآخرة، غير أن ابن جرير الطبري زاد الأمر وضوحاً، فقال: فقال جلّ ثناؤه: الذين يُربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني بذلك يتخبله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يخنقه فيصرعه من الجنون.[٧٣]

وإذا تأملنا كلام الطبري نجده يتكلم عن صورة لا وجود لها في الدنيا، فلم يشاهد الناس أصحاب البنوك الربوية الذين يمتصون دماء الناس يترنحون صرعى في الطرقات.

---

[٦٧] هكذا هي في النسخة المطبوعة من المعجم وسيحال إليها بعد قليل.

[٦٨] الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي السلفي، العراق: وزارة الأوقاف العراقية، ط٢، ١٩٨٨م، ج١٨، ص٥٠.

[٦٩] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. **تاريخ بغداد**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.، ج٨، ص١٧٨.

[٧٠] الهيثمي، **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٤، ص١١٩.

[٧١] الرازي، **الجرح والتعديل**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٩.

[٧٢] ابن حجر، **لسان الميزان**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦٣.

[٧٣] الطبري، **جامع البيان**، طبعة شاكر، مرجع سابق، ج٦، ص٨.

وأما ما يعزوه المعالجون بالقرآن "لتلبس الشيطان،" فقد ظهر جلياً أن كثيراً من الـذين يقعون تحت تأثير هذه الحالة لا علاقة لهم بالربا ولا بأهله، بل وذُكـرت في وسـائل الإعلام والصحف والكتب قصصٌ وحكاياتٌ لمن وقعوا تحت هذا التأثير، وهـم مـن حملة كتاب الله تعالى وحفظته، فكيف يقال هذا مع وقوعها مـع هـؤلاء الـذين لا يعرفون للربا طريقاً. وقد يقال: إن الصورة هذه ليست خاصة بآكلي الربا وإنما تعمهم وتعمُّ غيرهم؟ والجواب على ذلك أن القرآن صوّر أهل الربا بهذه الصورة فهم إذن بهذا الشكل، وإذا كانت الصورة تشملهم وتشمل غيرهم فليسوا بخارجين منـها. فـأين المرابون من هذه الصورة المذكورة في التفاسير؟

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا قال ابن عباس رضي الله عنه ما قال؟ ومن المفيـد بيانه أن هذه الآية مدنية يقيناً ولا تتحدث عن الكفـار، ولا عـن غيرهـم ممـن لم يستسلموا لأمر هذا الدين، ولكنها جاءت في سياق نهي المؤمنين عـن أكـل الربـا وتحذيرهم عاقبته، فالآية –ابتداء– لا تتحدث عن الآخرة كما ورد عند ابن عبـاس، ولكنها تتحدث عن الدنيا، وإنما قلنا: إنها كذلك حتى يستقيم أمـر أول الآيـة مـع آخرها، فلو كانت حديثاً عن الكفار كما يقول ابن عاشور،[٧٤] فكيف يقال في تفسير: "فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله" هل إذا انتهى الكـافر عن أكل الربا يكون هذا حاله؟ ومن هو المستجيب لمواعظ الله حتى ينتهي أصلاً؟[٧٥]

والذي حمل ابن عباس ومن تبعه من المفسرين على ذلك التفسير، أنهم لم يروا هذه الصورة المشبه بها في الدنيا "كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان" فحملوها على الآخرة، وحملوا معها قوله تعالى: ﴿يقومون﴾ على القيام من القبور.

والذي يعين على هذا التفسير الذي ارتضيناه، أن أكلة الربا زمان النـزول مـن اليهود أو كفار قريش وهو الغالب، وبعض المسلمين قبل نزول هذه الآية. فأما اليهود

---

[٧٤] ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**، تونس: دار الكتب التونسية، ١٩٨٣م، ج٣، ص٨٠.

[٧٥] انظر في هذا الخصوص: الطبطبائي، محمد حسين. **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت: نشر مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعات، ط٥، ١٩٨٣م، ج٢، ص٤٠٨ وص٤١٧.

والكفار فإنهم يأكلون الربا ويتلذذون به، وليس عندهم أي غضاضة من ذلك، لا من الرأفة ولا من الحسن، فبقي المسلمون الذين كانوا على هذه الحالة، فهل تراهم بعد قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً.﴾ (آل عمران: ١٣٠) قد أكلوا الربا بنفوس مطمئنة؟ الذي أعتقده في الصحابة أنهم لم يكونوا كذلك، وإن جاز أن يقع من بعضهم تشبيه الربا بالبيع في أول الأمر، سواء أكان هذا تصريحاً، أم دل ظاهر أحوالهم على هذا دون تصريح، مع أنني لم أجد رواية تدل على هذا. لأجل هذا، ولأجل أن ابن عباس وغيره لم يروا يهودياً واحداً من أكلة الربا ولا من كبار كفار قريش المرابين، يترنح وسط شوارع المدينة متخبطاً من مَسِّ الشيطان، ظهر رأي ابن عباس السابق الذِّكر.

وبناء على ما سبق، فإن الآية الكريمة لا تصلح خبراً عن الآخرة، وإنما هي حديث عن أكلة الربا في الدنيا. فضلاً عن أن المعنى الذي ذكروه لمسِّ الشيطان لا يتناسب مع أحوال الآخرة، ذلك أن الممسوس "المصروع" تصدر منه حركات لا إرادية لا يعيها، فإذا كان المقصود أن المرابين يكونون كالمصروعين، بمعنى أنهم في حال غيبوبة عن أهوال الآخرة، فلا جرم أن هذا غاية ما يتمنونه، وهل يتمنى الإنسان في ذلك الموقف أكثر من أن يكون في حال من اللاوعي تخفف عنه في عرصات القيامة؟.

وأما ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يقومون﴾ فإن جمهور المفسرين قد حملها على معنى القيام من القبور. فهل يسمح هذا التركيب بمثل هذا المعنى؟ إن من يتتبع آيات القرآن الكريم التي ورد فيها هذا الفعل وتصرفاته المختلفة، يجد أنه يستعمل في القرآن حديثاً عن يوم القيامة في نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.﴾ (المطففين: ٦) وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ.﴾ (الروم: ١٤) وقوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً.﴾ (فصلت: ٥٠) فإن اقترن لفظ القيام بالساعة أو ما يدل عليها، دلّ المعنى على هذا، وأما إذا جاء مطلقاً غير مقيد، فإن استعمال القرآن له لا يسمح بهذا المعنى كما في هذه الآية.[٧٦] جاء في تفسير الميزان: إن المراد بالقيام هنا هو الاستواء على الحياة والقيام بأمر

[٧٦] راجع: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، مادة: قوم، ص٦١٩.

المعيشة؛ فإنه معنى من معاني القيام يعرفه أهل اللسان في استعمالاتهم، قال تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ،﴾ (الحديد: ٢٥) وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ.﴾ (النساء:١٢٧) وأما كون المراد به المعنى المقابل للقعود فمما لا يناسب المورد، ولا يستقيم عليه معنى الآية.[٧٧]

وأما ما يتعلق بالتشبيه وبيان المشبه به، فإن هذا يحوجنا إلى أن نسال السؤال التالي: من هو الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ؟ لم أجد في الكتب التي بين يدي جواباً مقنعاً خصوصاً أن أكثر التفاسير تقصر هذا التشبيه مصوراً على حالة تسمى "الصَرَع" فيرون أن هذه الحالة هي المقصودة بهذا البيان القرآني. وهل الصرع هو المقصود فعلاً؟

وتفسير التخبط بالصرع ليس من قبيل تفسير الألفاظ، وإنما هو تفسير بحاصل المعنى أو النتيجة، فلم يذكر المتقدمون في التفسير كيف يُستدل بهذه الآية على هذا المطلوب. ولنأخذ مثلاً من تفسير الطبري فإنه قال: "يعني يتخبله[٧٨] الشيطان في الدنيا، وهو الذي يخنقه فيصرعه، من المسّ يعني من الجنون."[٧٩] لكن كيف هو وجه الاستدلال بهذه الآية على هذا التفسير؟ هذا مما لا نكاد نجد أحداً يفصّله. غير أنّا وجدنا القرطبي المفسِّر يفصل هذا الاستدلال على نحو عجيب فيقول: "في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان، ولا يكون منه مَسٌّ. وقد مضى الرد عليهم في هذا الكتاب."[٨٠]

وفي كلام القرطبي رحمه الله مؤاخذات؛ إذ إنه أول من قال بهذا القول من المفسرين في تفسير هذه الآية على هذا النحو، ولا أدري ما هو وجه الاستدلال من هذه الآية على الصَرَع، وكيف تم ربطهما من خلالها؟ وكيف استنبط القرطبي من

---

[٧٧] الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج٢، ص٤١١.
[٧٨] . قال الشيخ شاكر: يعني أفسد عقله وأعضاءه.
[٧٩] . الطبري. **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٦، ص٧.
[٨٠] . القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥٤.

هذه الآية أن الشيطان يسلك في الإنسان؟ ولقد أعياني البحث في هذا التفسير على ما أشار إليه القرطبي من أنه رد على المخالفين فيما تقدم من التفسير، فلم أجد لذلك أثراً.

ومما ينبغي التنبيه إليه أنه قد وقع في الموسوعة الفقهية كلام خاطئ، إما عن عمد أو غير عمد، وهو أنهم ذكروا في معنى كلمة "جُنَّ" أي دخلته الجن. وعزوا هذا المعنى إلى لسان العرب والصحاح.[٨١] وليس في هذين الكتابين أو في غيرهما هذا المعنى لهذه اللفظة.

ويبدو أن معنى (يتخبطه الشيطان) مقارب لما ذكر الله تعالى من استيلاء الشياطين على القلوب بالوسوسة في نحو قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ.﴾ (الأنعام: ٧١) وإنما اختلف التعبير لاختلاف الغرض وتعدد المقامات. فالذي تخبطته الشياطين هو ذلك الإنسان العاصي بمعصية عظيمة بارزَ الله تعالى بها بالحرب، فتراه يسير لا على هدى، مضطرب الفكر، متقلب المزاج، سريع الغضب، مهووس بالدنيا على نحو بالغ، لا يرى أي عائق أمام تحقيق مصالحه وأهوائه. وهذا لا محالة من أثر الوسوسة الشيطانية التي استولت عليه، فقهرته عن إدراك الحقيقة.

والذي يترجح لدي في تفسير هذه الآية أنها تحكي الحالة النفسية المضطربة لآكلي الربا بعد بيان أنه ما من ذنب قد أعلن الله تعالى الحرب على مرتكبيه إلا هذا الذنب. فالمسلم يدرك عظم الذنب من أكل الربا وحرمته، لكن وساوس الشيطان التي تأتيه من كل باب؛ لتزين له ما في الربا من المنافع، وتزين له التسويف في الابتعاد والتوبة، فتصبح نفس الإنسان من داخلها في تنازع شديد بين أمرين: أولهما: حرمة الربا والوعيد الشديد عليه. وثانيهما: ما يُصوّر له من منافع الربا. فتصبح في نفس الإنسان المرتكب لهذه الحماقة حرب نفسية طاحنة. فإما أن يتغلب الشرع الإلهي بما فيه من أوامر ونواهٍ، وإما أن يغلب على تلك النفس النوازعُ الشيطانية الشديدة. ولذلك ترى كثيراً من متعاطي الربا لا يذوقون للنوم طعماً إلا بالعقاقير المهدّئة. وأما في النهار حيث العمل والنشاط فلعمرك ما أنت راءٍ من الجشع والطمع ما أنت رائيه في تحركات

---

[٨١] مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة الفقهية**، طبع وزارة الأوقاف الكويتية، ط٤، ٢٠٠٢م، ج١٦، ص٩٩.

هؤلاء وتصرفاتهم. هذا هو ما تحكيه الآية، وليس فيه للشيطان إلا أنه سوّل لهم هذا المنكر بوسوسته وإيحائه. هذا هو الراجح لدي. ويسوغ هذا الترجيح:

١. أنه ليس في كتاب الله تعالى ما يدل على أن هناك أي تأثير للشيطان على الإنسان إلا بالوسوسة والإيحاء والدعاء.

٢. أن الله تعالى قد قال عن إبليس حين تملّص من تبعات إضلاله العباد: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.﴾ (إبراهيم: ٢٢) وهذا في مقام الاعتراف، والاعتراف كما يقال: أصرح الأدلة. ولما كان هذا الاعتراف أمام الخلائق كلها، ولم يوجد أحد يعترض على هذا الكلام دل على صدقه في نفسه، هذا مع حاجة الناس إلى أن يدفعوا عن أنفسهم تبعات هذا الضلال الذي وقعوا فيه.

٣. إن الله تعالى قد أخبر نبيه عن أحوال الأمم الماضية فقال: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.﴾ (النحل:٦٣) فلو كان للشيطان سبيل على الإنسان غير ما هو مبين في هذه الآية من التزيين لوجب بيانه؛ لأن هذا في مقام بيان أحوال الأمم الماضية مع الشيطان تحذيراً للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته من مكائده.

٤. ذكر الله تعالى في غير موضع أنه ليس للشيطان على عباده سلطان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ.﴾ (الحجر:٤٢) ولنتأمل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فإنه صريح في ما أُعطي الشيطان من اقتدار على الإنسان، وأنه ليس إلا الوسوسة والإغراء والإغواء والتزيين، وليس التسلط.

٥. قال الله تعالى وهو يحكي عن تكبر إبليس وطغيانه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ*ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ

شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ.﴾ (الأعراف: ١٦-١٧) فلو كان للشيطان اقتدار على أن يدخل إلى جسم الإنسان ويتحكم فيه، وأن هذا الطريق يحقق له أمانيه في صد الناس عن سبيل الله، فلِمَ لم يقل: لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن دواخلهم؟

وثَمّ أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن تكون في المحل ذاته من الاستنباط، نذكر منها ما يلي:

١. ورد عن ابن عباس وغيره أن بعض الصحابة شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يجدونه من عنت الشيطان في عباداتهم، فقال لهم جواباً ورد بعدة صور هي: "الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة،" و"الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة،" و"الحمد لله الذي لم يقدر منكم إلا على الوسوسة،" و"الحمد لله الذي لم يقدر لكم إلا على الوسوسة."[٨٢] ولم أقرأ لأحد ممن اعتنى بالحديث أنه ضعّف هذا الحديث أو طعن فيه. بل قال الشيخ شعيب الارناؤوط في تحقيقه على المسند: حديث صحيح على شرط الشيخين.[٨٣] بل لقد ابن حبان يعقد باباً من أبواب كتابه فيسميه: "باب ذكر البيان بأن لا قدرة للشيطان على ابن آدم إلا على الوسوسة فقط." وذلك استنباطاً من هذا الحديث.[٨٤] وهذا الحديث بألفاظه المختلفة هو من قبيل القصر الحقيقي بلا ريب، فهو يقصر فعل الشيطان على الوسوسة، ويحصر فعله فيها وحدها.[٨٥]

---

[٨٢] ابن حبان، محمد بن حبان. **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ج١، ص٦٧، وانظر:

- النسائي، أحمد بن شعيب. **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق: عبد الغفار البنداري وسيد حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م، ج٦، ص١٧١رقم الحديث ١٠٥٠٥.

- أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مرجع سابق، ج٢، ص٨٧، رقم الحديث ٣١٦١.

[٨٣] أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مرجع سابق، ج٢، ص٨٧.

[٨٤] ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، مرجع سابق، ج١، ص٦٧.

[٨٥] قال الدكتور محمد أبو موسى: القصر الحقيقي هو تخصيص شيء بشيء بمعنى إثباته له ونفيه عن كل ما عداه. انظر:

- أبو موسى، محمد. **دلالات التراكيب**، ط٢، ١٩٨٧م، القاهرة: مكتبة وهبة، ص٣٩.

٢. جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوماً أراد توديع زوجه صفية وقد زارته في معتكفه ليلاً، وبينا هو يمشي معها إذ رآه اثنان وقيل واحد من أصحابه فأسرعا السير، فقال عليه الصلاة والسلام: على رسلكما إنها صفية، فقالا سبحان الله، فقال عليه الصلاة والسلام: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.[٨٦] وفي رواية أخرى في البخاري"إني خشيت أن يقذف في قلوبكما أمراً."[٨٧] وهذا الحديث مع وضوح المعنى المراد به، بدلالة السياق الذي ورد فيه، إلا أن العلماء اختلفوا في تفسيره، فذهب اللغويون إلى أن المراد أنه تمثيل للوسوسة، لا أن الشيطان يدخل إلى جوفه، قال بهذا القول: ابن منظور، وابن الأثير، والأزهري، والكفوي، والنووي في تهذيب الأسماء.[٨٨] ونُقل في فيض القدير شيءٌ من خلاف العلماء حول معنى هذا الحديث فقال: "قال القاضي وهذا إما مصدر أي يجري مثل جريان الدم، في أنه لا يحس بجريه، كالدم في الأعضاء، ووجه الشبه شدة الاتصال، فهو كناية عن تمكنه من الوسوسة، أو ظرف ليجري، ومن الإنسان: حال منه، أي يجري مجرى الدم كائنا من الإنسان، أو بدل بعض من الإنسان: أي يجري في الإنسان حيث يجري فيه الدم، انتهى. وقال ابن الكمال هذا تمثيل وتصوير: أراد تقرير أن للشيطان قوة التأثير في السرائر، فإن كان متفرداً منكراً في الظاهر فإليه رغبة روحانية في الباطن، بتحريكه تنبعث القوى الشهوانية في المواطن، قال أعني ابن الكمال: ومن لم يتنبه لحسن هذا التمثيل ضل في رد ذلك المقال وأضل. حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ*ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧) كالدلالة على بطلان ما يقال إنه يدخل في بدن الآدمي ويخالطه؛ لأنه إذا أمكنه ذلك لكان ما يذكره في باب المبالغة أحق.[٨٩] وجاء في مرقاة

---

[٨٦] البخاري، **صحيح البخاري**، بهامش عمدة القاري، بيروت: دار الكتاب العربي، كتاب الصوم، باب زيارة المرأة في اعتكافه، رقم٢٠٣٨.

[٨٧] البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٢، ص٧١٥، رقم الحديث ١٩٢٨.

[٨٨] ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة: شطن، ج١٣، ص٢٣٩.

[٨٩] المناوي، عبد الرءوف. **فيض القدير**، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ،ج٢، ص٣٥٨.

المفاتيح: واختلفوا في معنى قوله: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم،" فقيل هو على ظاهره، وإن الله جعل له قوّة وقدرة على أنه يجري في باطن الإنسان وعروقه مجرى الدم فيها. وقيل استعارة لكثرة وساوسه، فكأنه لا يفارقه كما لا يفارقه الدم، وقيل يلقى وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل إلى القلب."[٩٠]

ويحق للإنسان أن يعجب من هذا الاختلاف الذي مرده إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: الغفلة عن السياق الذي ورد فيه هذا الحديث. فإنه لا محالة يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يوسوس الشيطان لهما شيئاً، فيتهمان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فيقعان في الكفر عياذاً بالله تعالى. وقوله صلى الله عليه وسلم: "خشيت أن يقذف في قلوبكما أمراً" واضح الدلالة على أن المراد به يوسوس لهما.

الأمر الثاني: القول بأن "من" بمعنى "في". وهذا وهن في القول، فإن تناوب حروف الجر مذهب ضعيف، لا يليق تخريج بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم عليه. وما الذي كان يحول بين النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: يجري في ابن آدم، لو كان المراد ما ذكروه.

ثالثاً: مصدر روايات التلبُّس

ليس في كتاب الله تعالى محل واحد يدل على أن الشيطان يدخل داخل الإنسان ويتحكم فيه، ولا أعلم في سنة النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً يدل على هذا، وما ورد من الحديث مما يوهم خلاف ذلك، فالواجب رده إلى ما في القران الكريم، وبما أنه ليس في القران ولا في السنة ما يدل على ذلك. فإنه يحق لنا التساؤل، من أين تسرّب هذا الأمر إلى المسلمين؟

---

[٩٠] القاري، علي بن سلطان. **مرقاة المفاتيح**، تحقيق: جمال عيتاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م، ج٥، ص١٦٣.

الذي أقوله إن موضوع تلبس الجان للإنسان قد سرى إلينا من الإنجيل سريان الإسرائيليات إلى تراثنا، ومما يؤكد هذا: أنه لم يثبت في كتاب الله تعالى على الإطلاق ما هو صريح في إثبات هذا الأمر، ولا أعلم في السُّنة حديثاً صحيحاً صريحاً يثبت هذا الأمر، فضلاً عن أن المؤرخ جواد علي نصّ في غير ما موضع من كتابه (المفصّل) على أن الشعراءِ الجاهليين الذين نقلت عنهم أخبار الجان ومحاوراهم، كانوا على علاقة بأهل الكتاب، وعلى اطّلاع على كتبهم أيضاً.[٩١]

ولو أمعنا النظر في الأناجيل؛ لرأينا ذلك جلياً؛ إذ جاءِ في إنجيل مرقس ما نصه: "وكان في مجمعهم رجل فيه روح نجس فصاح قائلاً ما لنا ولك يا يسوع الناصري أأتيت لتهلكنا. قد عرفتك من أنت؟ إنك قدوس الله. فانتهره يسوع قائلاً: اخرس واخرج من الرجل. فخبطه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه. فدهش جميعهم وجعلوا يسألون بعضهم قائلين: ما هذا الأمر وما هذا التعليم الجديد، فإنه أيضا يأمر الأرواح النجسة بسلطان فتطيعه." [٩٢] وفي متابعة النص في الإنجيل يذكر أن المسيح قد قام بإخراج الشياطين من كثيرين من المرضى.

وفي فصل آخر من إنجيل مرقس أيضا ما نصه: "ولما جاء إلى التلاميذ رأى جمعاً كثيراً حولهم وكتبة يتباحثون. وللوقت[٩٣] لما رأى الجمع كله يسوع انذهلوا وابتدروا وسلموا عليه. فسألهم فيم تُباحَثون؟ فأجاب واحد من الجمع وقال يا معلم قد أتيتك بابن لي به روح أبكم. وحيثما أخذه يصرعه فيُزبِد ويصرف أسنانه وييبس، وقد سألت تلاميذَك أن يخرجوه فلم يقدروا. فأجابهم وقال: أيها الجيل الغير مؤمن[٩٤] إلى متى أكون عندكم وحتى متى احتملكم. هلم إلي. فأتوه به فلما رآه للوقت صرعه

---

[٩١] علي، جواد. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين بالتعاون مع جامعة بغداد، ط٣، ١٩٨٣م، ج٦، ص٧٠٨ وص٧١٥ وص٧١٦ وص٧٢٢ وص٧٢٣ وغيرها، وانظر ما كتبه في الفصل المتعلق بالتنظيم الديني وأثر النصرانية في الجاهليين في ج٦، ص٦٣٨ وما بعدها.

[٩٢] العهد الجديد، **إنجيل مرقس**، بيروت: دار الكتاب المقدس، ١٩٩٢م. الفصل الأول رقم ٢٣ وما بعدها.

[٩٣] هكذا وردت في النص الأصلي.

[٩٤] هكذا وردت في النص الأصلي.

الروح فسقط على الأرض يتمرغ ويزبد. فسأل أباه منذ كم من الزمان أصابه هذا؟ قال منذ صباه. وكثيراً ما ألقاه في النار وفي المياه ليهلكه. لكن إن استطعت شيئاً فتحنن علينا وأغثنا. فقال له يسوع: إن استطعت أنت أن تؤمن فكل شيء ممكن للمؤمن فصاح أبو الصبي من ساعته بدموع وقال: إني أؤمن يا رب، فأعن قلة إيماني. فلما رأى يسوع أن الجمع يتبادرون إليه انتهر الروح النجسة قائلاً له: أيها الروح الأصم الأبكم أنا آمرك اخرج منه ولا تعد إليه من بعد. فصرخ، وخبطه كثيرا، وخرج منه، فصار كالميت، حتى قال كثيرون: إنه قد مات. فأخذ يسوع بيده وأنهضه فقام. ولما دخل البيت سأله تلاميذه على انفراد، لماذا لم نستطع نحن أن نخرجه؟ فقال لهم: إن هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصوم والصلاة."[٩٥]

وفي إنجيل متى أيضاً ورد ما يلي: "ولما أتى إلى العِبر إلى بقعة الجرجسيّين استقبله مجنونان خارجان من القبور، شرسان جداً، حتى إنه لم يقدر أحد أن يجتاز من تلك الطريق. فصاحا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله، أجئت إلى هنا قبل الزمان لتعذبنا؟ وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى. فسأله الشياطين قائلين: إن كنت تخرجنا فأرسلنا إلى قطيع الخنازير. فقال لهم: اذهبوا. فلما خرجوا دخلوا في الخنازير فإذا بالقطيع كله قد وثب عن الجرف إلى البحر ومات في المياه."[٩٦] أليس هذا هو مستند من يقولون: إن فلاناً من الناس ملبوس من عدد كبير من الجن؟

وفي إنجيل متى أيضاً: "وبعد خروجهما من هناك قدموا إليه أخرس به شيطان. فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس. فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل. أما الفريسيون فقالوا إنه برئيس الشياطين يخرج الشيطان."[٩٧]

وإذا أردنا أن نتسلسل في تاريخ هذه الأوهام، فإن مرجعها إلى الهنود في عباداتهم القديمة، وهي أقدم من النصرانية كما هو معلوم، فقد جاء في كتاب قصة الحضارة عن

---

[٩٥] المرجع السابق، الفصل التاسع، رقم ١٣- ٢٩.

[٩٦] العهد الجديد. **إنجيل متى**، الفصل الثامن الرقم ٢٨- ٣٣.

[٩٧] المرجع السابق، الفصل التاسع، الرقم ٣٢-٣٥. وانظر نصاً مشابها لهذا في متى: ١٢: ٢٢وما بعدها.

غرائب الدين عند الهنود "في هذا الجو اللاهوتي المفعم بالخوف والألم، ازدهرت الخرافة، وهي أول معونة ترسلها القوة الكامنة فوق الطبيعة؛ لتعالج بها الأدواء الصغرى في الحياة، ازدهاراً خصيباً حتى أصبحت القرابين، والتمائم، وإخراج الشياطين الحالة في الأبدان، والتنجيم، والنبوءة بالغيب، والتعزيم، والنذور، وقراءة الأكف، والعرافة، وطائفة الكهانة، وفاتحو البخت، ...أصبح ذلك كله جانباً واحداً من الصورة التي تمثل الهند.[٩٨] وقال في موضع آخر: وكان العرافون والسحرة والمنبئون بالغيب، إذا ما أجّرتهم أجراً زهيداً، يعلنون لك ماضي الحوادث ومقبلها، بدراستهم للأكف، والبُراز، أو الأحلام، أو لعلامات في السماء، أو للخروق التي أحدثتها الفئران في الثياب، ويزعمون بترتيلهم لعبارات السحر التي لم يكن ترتيلها في مقدور أحد سواهم أنهم يخمدون الشياطين، ويسحرون الثعابين، ويستعبدون الطيور، ويُلزمون الإلهة أنفسهم بمعاونة من دفع لهم أجر ما يصنعون، وكذلك كان السحرة نظير أجر معلوم يسلطون الشيطان على العدو أو يطردونه من هذا الذي يؤجرهم... حتى البراهمي إذا ما تثاءب جعل يفرقع بأصابعه ذات اليمين وذات الشمال؛ حتى يطرد الأرواح الشريرة، فلا يسمح لها بالدخول في فمه المفتوح."[٩٩] وينقل فريد وجدي عن مؤرخ هندي قديم أن أسرار عالم الأرواح عند كهنة الأديان الهندية القديمة كانت موزعة على ثلاث فرق، إحداها: تلك الفرقة التي تحتوي على طردة الشياطين من الأجسام، والعرافين للمستقبل، وأصحاب النبوءات، ومستحضري الأرواح، وهؤلاء عليهم في بعض الظروف الحرجة أن يؤثروا في أذهان العامة بإحداث بعض خوارق الطبيعة، ويسمح لهم بقراءة "الاتارفا فيدا" وشرحها، وهي مجموعة رقيات سحرية.[١٠٠]

---

[٩٨] ديورانت، ول. **قصة الحضارة**، تحقيق: زكي نجيب محمود، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م، ج٣، ص٢٢١.
[٩٩] المرجع السابق، ج٣، ص٢٢٢.
[١٠٠] وجدي، محمد فريد. **الإسلام في عصر العلم**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٨٣م، ص٣٦٢. وانظر:
- شلبي، أحمد. **أديان الهند الكبرى**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٨م، ص٤٠.

إذن فالمسألة أقدم من النصرانية بكثير، وقد أثبت الدكتور أحمد شلبي أن البوذية مصدر مهم من مصادر المسيحية، وأن المسيحية قد اقتبست كثيراً من عناصرها المهمة من البوذية.[١٠١]

خاتمة:

إن الدراسة الموضوعية لأي موضوع اجتماعي أو غيره من خلال القرآن الكريم، هي من أهم الدراسات التي توصل إلى أهم النتائج القريبة من الصواب، إن لم تكن هي الصواب بعينه، ولابد من تعميق الدراسات الموضوعية القائمة على جمع الأدلة المتعلقة بالموضوع الواحد.

إن فكرة تلبس الجان (الشيطان) للإنسان فكرة شائعة، وليس لها أساس يسندها من القرآن الكريم، مع أن القرآن الكريم يورد في مواضع غير قليلة آيات تسفر عن طبيعة العلاقة بين الإنس والجان (الشيطان)؛ إذ هي علاقة عدوانية قائمة على الوسوسة الشيطانية للإنسان.

وقد ظهر لدينا أن هناك بعض الأفكار التي تتردد في كتب التفسير على الخصوص، وهي شائعة جداً، ما هي إلا أفكار خاطئة بحاجة إلى تقويم وتسديد، ولعل هذه الأخطاء ناتجة عن تنحية السياق القرآني للآية عند التفسير. وبناء على ذلك لابد من تعليم الباحثين ضرورة الاعتناء بسياق الآيات، فهو العاصم من الخطأ والزلل عندما نقوم بفعل التفسير.

كما يجب على الباحثين أن يتفحصوا مصدرية الأفكار التي دخلت فكرنا الإسلامي وأصبحت من المسلّمات التي يعتقدها كثير من العامة، وغير قليل من الخاصة.

---

[١٠١] شلبي، **أديان الهند الكبرى**، مرجع سابق، ص١٩٧.